إذ فوك تملأه من محضها الدرر
إذ أنت طفل صغير كنت ترضعها

امنن على بيضة قد عاقها قدر … مشتت شملها في دهرها غير
يا خير طفل ومولود ومنتجب … في العالمين إذا ما حصّل البشر
أن لم تداركهم نعماء تنشرها … يا أرجح الناس حلما حين يختبر
امنن على نسوة قد كنت ترضعها … وإذ يزينك ما تأتي وما تذر
لا تجعلنا كمن شالت نعامته … واستبق منا فإنا معشر زهر
إنا لنشكر للنعماء إذ كفرت … وعندنا بعد هذا اليوم مدخر
فالبس العفو من قد كنت ترضعه … من أمهاتك إن العفو مشتهر
يا خير من مرحت كمت الجياد به … عند الهياج إذا ما استوقد الشرر
إنا نؤمل عفوا منك تلبسه … هدي البرية إذ تعفو وتنتصر
فاعف عفا الله عما أنت راهبه … يوم القيامة إذ يهدى لك الظفر

فلما سمع النبي صلى الله عليه وسلم هذا الشعر قال ما كان لي ولبني عبد المطلب فهو لكم ، وقالت قريش ما كان لنا فهو لله عز وجل ولرسوله ، روينا ذلك من عوالي شيخنا الحافظ تقي الدين محمد ابن فهد الهاشمي القرشي العلوي كان الله له قراءة مني عليه لجميعها بالمسجد الحرام سنة خمس وثلاثين وثمانمائة فروى ذلك بسنده إلى الحافظ أبي القاسم الطبراني قال حدثنا عبد الله بن رماحس القيسي برمادة رملة سنة أربع وسبعين ومائتين قال حدثنا أبو عمرو زياد بن طارق وكان قد أتى عليه عشرون ومائة سنة قال سمعت أبا جرول زهير بن صرد الجشمي فذكر الشعر وما بعده وذكر ما قبله ابن إسحق ولم يذكر الشعر في رواية ابن هشام عنه وذكره في رواية إبراهيم ابن سعد وفيه زيادة ونقص وقد اخترنا من ذلك البيت الثالث بدلا عن بيت أخرجناه من رواية شيخنا ، وروينا في الصحيح عن المسور بن مخرمة رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قام حين جاءه وفد هوازن مسلمين وسألوه أن يرد إليهم أموالهم وسبيهم فقال لهم إن معي من ترون ، وأحب الحديث إلي أصدقه ، فاختاروا إحدى الطايفتين إما المال وإما السبي

وقد

وقد كنت استأنيت بكم ، وفي رواية وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم انتظرهم بضع عشرة ليلة حين قفل من الطايف فلما تبين لهم أن النبي صلى الله عليه وسلم غير راد إليهم إلا إحدى الطايفتين قالوا فإنا نختار سبينا فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم في المسلمين فأثنى على الله بما هو أهله ثم قال أما بعد فإن إخوانكم هؤلاء قد جاؤنا تائبين وإني قد رأيت أن أرد إليهم سبيهم فمن أحب منكم أن يطيب بذلك فليفعل ومن أحب أن يكون على حظه حتى نعطيه إياه من أول ما يفيء الله علينا فليفعل ، فقال الناس طيبنا بذلك يا رسول الله فقال لهم إنا لا ندري من أذن منكم ممن لم يأذن فارجعوا حتى يرفع إلينا عرفاؤكم أمركم فرجع الناس فكلمهم عرفاؤهم ثم رجعوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبروه أنهم قد طابوا وأذنوا فهذا الذي بلغنا من شأن سبي هوازن ، وروي أنه كان في السبي الشيماء بنت الحارث وهي بنت حليمة فجاءت النبي صلى الله عليه وسلم فتعرفت له بالأخوة فلما عرفها بسط لها رداءه ووهبها عبدا وجارية فزوجت العبد بالجارية فلم يزل فيهم من نسلها بقية ، وقال أبو الطفيل وهو آخر الصحابة موتا رأيت النبي صلى الله عليه وسلم وأنا غلام إذ أقبلت امرأة حتى دنت منه فبسط لها رداءه فجلست عليه فقلت من هذه قالوا أمه التي أرضعته ولما انصرف وفد هوازن قال لهم النبي صلى الله عليه وسلم أخبروا مالك بن عوف أنه إن أتاني مسلما رددت إليه أهله وماله وأعطيته مائة من الإبل فلما أخبروه خرج من الطايف مستخفيا ولحق بالنبي صلى الله عليه وسلم فأدركه بالجعرانة أو بمكة فأعطاه ما كان وعده به وأسلم وحسن إسلامه وقال حين أسلم

ما إن رأيت ولا سمعت بمثله … في الناس كلهم بمثل محمد
أوفى وأعطى للجزيل إذا اجتدي … ومتى تشأ يخبرك عما في غد
وإذا الكتيبة عردت أنيابها … بالسمهري وضرب كل مهند
فكأنه ليث على أشباله … وسط الهباءة خادر في مرصد

فاستعمله رسول الله صلى الله عليه وسلم على قومه فحارب بهم ثقيفا حتى ضيق عليهم ففي ذلك يقول أبو محجن الثقفي